سرديَّة العمران وبنائيَّة المدينة في رواية الفاجعة السّوريَّة
-قراءة في ثنائيَّة خالد خليفة "مديح الكراهيَّة" و "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة"-

The Narrative of Urbanism and the Constructivism of the City in Praise of Hatred and No Knives in the Kitchens of this City

- **الأستاذ/ بلكرفة عيسى**
- **قسم اللُّغة والأدب العربي -جامعة محمد بوضياف –المسيلة (الجزائر)**

belkarefa.aissa@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2020/10/04 تاريخ القبول: 2021/07/11 تاريخ النشر: 2021/09/15

ملخص:

يهدف المقال إلى تسليط الضَّوء على ثيمة المدينة في الرِّواية العربيَّة المعاصرة، زمن الصّدمة الحضاريَّة الَّتي تعيشها البلاد، وتعيشها سوريّا منذ انقلاب حزب البعث سنة 1963م إلى اليوم، من خلال ثنائيَّة الرِّوائيّ السّوريّ خالد خليفة "مديح الكراهيَّة" و"لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة".

كلُّ تلك القلاقل السِّياسيَّة والاجتماعيَّة أدّت إلى البحث عن بدائلَ يوتوبيّة تستهدف تجاوز و إلغاء جوانب الضّعف الطُّوبوغرافيّ للفضاء المدينيّ إلى الكشف عن علاقة المدينة بالإنسان، وصورتها عبر سرديَّة العمران وبنائيّة المدينة والَّتي قوامها العنف والإرهاب.

من هذا المنطلق أروم في هذا المقال الإجابة عن إشكاليَّة أساسيَّة مفادها: كيف تناول "خالد خليفة" ثيمة المدينة كمعطى أدبيّ يمثّل رواية الفاجعة؟

- **الكلمات المفتاحيَّة:** المدينة العربيَّة؛ الرّواية الفاجعة؛ المدينة المعاقبة؛ خالد خليفة؛ العنف.

Abstract:

The present study examines the image of the Arab city in the contemporary Arabic novel in the time of the cultural shock that the Arab countries are experiencing, and that Syria has been living since the coup of the Baath Party in 1963 to this day. The study analyses Khalid Khalifa's "Praise of Hatred" and "Laskakin in the Kitchens of this City".

Thus, the political and social unrest has led to the search for utopian alternatives to overcome and eliminate the topographical vulnerabilities of the city space. It reveals the city's relationship with man and its image, through the narrative of the city and its buildings, which are based on violence. Hence, this research scrutinises how Khalid Khalifa employed the city as a literary bestseller of tragedy.

key words: The Arab City; The Tragic City; The punishing City; Khalid Khalifa; Violence.

مقدّمة:

تطالعنا مقولة العظيم ويليام شكسبير "ماذا تكون المدينة سوى البشر"، بأنّ المدينة على الدَّوام تعدُّ مركزًا لصناعة التَّاريخ، "فتاريخ العالم هو تاريخ مدن"، لذا تزايد الاهتمام بعلاقة المدينة والإنسان، في شتَّى الأبحاث والعلوم لحملها دائمًا أنساقًا ثقافيَّة ومجتمعيَّة ناهيك عن الأبعاد الإيديولوجيَّة الفكريَّة، والرّواية العربيَّة ليس بدعًا في ذلك فقد احتفت بالفضاء المدينيّ أيّما احتفاء، غير أنّ صورة المدينة لا تزال ضبابيَّة مشوّشة فمرَّة تكون مدينة فاضلة ورمزًا للصَّلاح والقيم والأخلاق والمحافظة على المبادئ كمَّا صوّرها الفلاسفة والمفكّرون، ومرّة أخرى تجرّد المدينة من أبسط شروط الحياة فيها، فتكون أيقونة للعنف والظّلم، كما صوَّرها الرّوائيّ السُّوريّ "خالد خليفة" في ثنائيَّته.

وروايات "خالد خليفة" من الرِّوايات الَّتي أعادت كتابة التَّاريخ والأزمة، حتَّى صار التَّاريخ أيقونة روائيَّة بامتياز، طرحت إشكاليَّة رئيسةً مفادها: هل كَتَبتْ هذه الرِّواية تاريخًا متخيّلا؟ أم خيالًا تاريخيًّا؟. هي روايات يقتحم الكاتب فيها بجرأة عالمًا من صراع الأصوليّن والسُّلطة السُّورية، الَّذي ساد فترة انقلاب حزب البعث وزمن الثّمانينيَّات، ونتج عنه كوارث إنسانيَّة ما تزال آثارها باديَّة للعيان حتّى اليوم، ويرسم بتفاصيل دقيقة واقع الحياة الاجتماعيَّة والسّياسيَّة، هذا الواقع الّذي كانت فيه حلب المبتدأ والمنتهى في آن واحد مرورًا ببيروت وأفغانستان والرّياض وعدن ولندن...

ومن الدّراسات الَّتي اهتمت بموضوع المدينة في المنجز السّرديّ العربيّ نذكر على سبيل الذِّكر لا الحصر: المدينة في القصة العراقية القصيرة للدكتور رزّاق إبراهيم حسن، حيث اهتمَّ الباحث برصد ثيمة المدينة في القصة العراقيَّة والتَّعامل مع المدينة كمحور أساسيّ ترتكز عليه القصَّة. وكذلك دراسة بعنوان: الرّيف في الرّواية العربيَّة للدُّكتور محمد حسن عبد الله، الَّذي تناول الرّواية الرّيفيّة من زواياها المختلفة، ثم تطرّق إلى العلاقة بين الرّيف والمدينة.

أمّا دراستنا هذه فستتطرّق إلى صورة المدينة في ثنائيَّة الرّوائيّ السُّوريّ خالد خليفة والَّذي صوّر الواقع بكلّ تناقضاته وصوّر مظاهر الإغتراب عن الذّات والواقع بأبعاده وتعبيراته السّياسيّة والاجتماعيّة، وتناول فيها صورة المدينة الَّتي تعرّضت للعقاب من قبل النّظام السُّوريّ آنذاك، إنّها نموذج لمدنٍ عربيَّة كثيرة عُوقبت إبَّان الأزمات الَّتي عاشتها البلدان العربيَّة سنوات الرَّبيع العربيّ أو حتَّى قبله.

ومن أجل ذلك ستنتظم هذه الدّراسة في وحدتين لا فكاك بينهما فكلٌّ واحدة تستبطن الأخرى، أمّا الأولى فهي السِّيرة الذَّاتيّة المجتمعيّة المدينيّة، وأمَّا الثَّانيّة فهي جماليات التَّوظيف لتلك المدينة. واستنادًا إلى هذا الطَّرح النّظري تتأسّس مجموعة من التَّساؤلات النَّظريَّة الأساسيَّة، لها علاقة بتصوّر السَّرد الرّوائيّ للعمران وبيئتها المبنية. ما هي المدينة الرّوائيّة، وكيف يمكن تشكيلها؟ كيف يمكن أن نصنّف الإدراك المكانيّ في الرّواية؟ وكيف تناول "خالد خليفة" ثيمة المدينة كمعطى أدبيّ يمثّل رواية الفاجعة؟

1) **مفهوم المدينة:**

تشترك معاجم اللُّغة في عرض مفاهيم المدينة، الَّتي يعود أصلها إلى الجذر اللُّغويّ لمادة (م، د، ن) فيقال: "تمدّن الرَّجل تخلّق بأخلاق أهل المدن، وانتقل من حالة الخشونة والبربريَّة والجهل إلى حالة الظّرف والأنس والمعرفة".[1]

وعليه فإنَّ التّمدن يمثّل ظاهرة اجتماعيَّة يتميّز بها الفرد فينتقل بها من حالة البداوة والجهل إلى حالة الحضر والرُّقيّ، فالمدينة كبناء فنيّ متكامل تمكّن الكاتب من الخلق والإبداع، لأنّها عالمٌ تتفاعل فيه العناصر الرّوائيّة من شخصيّات وأحداث وزمان ومكان، هذا الأخير الَّذي يمثِّل مسرح الأحداث في كلّ رواية والحديث عن المكان إنّما هو حديث عن المدينة في حدّ ذاته، حيث تعدّدت التَّعاريف وتنوَّعت الدَّلالات حول المدينة فهي تعني أيضًا "تجمّعات سكانيّة كبيرة وغير متجانسة تعيش على قطعة أرضٍ محدودةٍ نسبيًّا"،[2] وبما أنّ الإنسان على صلة وثيقة بالمكان الَّذي يعيش فيه فإنّه لا يتحقَّق وجوده إلاَّ من خلال عمليّة التَّأثير والتَّأثر، فماذا تمثِّل المدينة سوى البشر على حد تعبير "شكسبير".

ويشير "يوري لوتمان" إلى أنَّ مصطلح المدينة إنّما هو "مجموعة من الأشياء المتجانسة والظواهر والحالات والوظائف والأشياء والصّور والدّلالات المتغيّرة الّتي تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانيّة المألوفة العاديّة مثل الامتداد والمسافة".[3]

والمدينة أيضا ليست ذلك التَّراكم من الجمادات بل هي جسد وروح، وهي عالم الإنسان قبل أن يُقذَفَ به في العالم، وليست رقعة جغرافيَّة لها حدود تحدُّها فحسب، بل تخضع إلى تغيّرات تتحكّم في المكان، كون المدينة مظهرًا من مظاهر الإبداع الإنسانيّ، لتصبح عندئذ المترجمَ الحقيقيَّ لكلّ أفعال الفرد وتحرّكاته وسط حيّز مكانيٍّ أُطلق عليه مسمّى "المدينة". ولهذا تكون المدينة هي "الحياة بتعدّدها وتنوعها... المدينة طريقة النّاس في النّظر إلى الأشياء وطريقة كلامهم، المدينة هي الأحلام والخيبات الَّتي ملأتْ عقول النّاس وقلوبهم".[4] وعليه فالمكان لا يكون ذا جدوى ما لم يتّصل بالحياة، فهو ليس مكانًا هندسيّا تضبط حدوده مسافات وأبعاد دقيقة، بل هو "فوق هذا كلّه اتجاه عقليّ، ومجموعة من العاداة والتّقاليد... إنّ المدينة بمعنى آخر ليست مجرّد ميكانيزم فيزيائيّ أو بناء صنعه الإنسان..."[5] هي بوتقة انصهرت فيها كل القيم والأفكار والإيديولوجيّات.

والمدينة تختلف عن القرية بسعة المساحة والتّحشّد السّكانيّ الكبير وتنوّع مجالات العمل، وتنوّع وتعدّد التّناقضات إلّا أنّها ليست معزولة عن القرية وتقاليدها، بحكم أنّها امتداد لها، كما أنّها تظلّ مفتوحة على القرية الكبيرة تمدّها باستمرار بجموع المهاجرين المندفعين إلى العمل فيها أو الدّراسة أو البحث عن حياة مستقرّة.[6]

انطلاقا من هذا التّصور تكون المدينة إطارًا مكانيًا شديد الازدحام، تضمُّ مجموعة من البنايات المنتظمة تخترقها شوارع وممرَّات مصفوفة تتقاطع ومشاهد الأزقة والسّاحات والمقاهي والحوانيت والمنازل والوجوه والرَّوائح والعطور، لتشكِّل إيقاعًا خاصًا مختلفًا هو في جوهره مفهوم المدينة.

2) رواية الفاجعة في سوريا:

يذهب الكثر من الدّارسين إلى أنَّ الرِّواية السُّوريّة _في نشأتها_ تخلَّفت عن الرّواية في كلّ من مصر ولبنان، فلم تتوفّر للسّوريين في ذلك الوقت تلك الظُّروف الَّتي توفَّرت للُّبنانيّين والمصريّين على الصّعيد السّياسيّ والأدبيّ. ففي لبنان كان للبعثات التّبشيريّة دورٌ هامٌ في اطلاع اللُّبنانيّين على الأدب الغربيّ. أمَّا بُعد مصر عن مركز الإمبراطوريَّة العثمانيَّة ساعدها في الحصول على شبه استقلال، انعكس ذلك بصورة إيجابيَّة على نواحي عدّة؛ أدبيّة، اجتماعيّة وسياسيّة. ويُجمع الباحثون على الدَّور الرّيادي الّذي لعبته كلّ من مصر

ولبنان في نشأة وتطوير الرّواية العربيّة الحديثة بل في نهضة الأدب العربي ككلّ. كما أنَّهم لا ينسون دور أدباء المهجر السُّوريّين في النّهضة العربيّة الحديثة.

إنّ البدايات الأولى للرِّواية في سوريا كانت مع "شكيب الجابريّ" (1912-1996) في روايته "نهم" الّتي اعتبرها النّقاد الرّواية الفنيّة الرّومانسيّة الأولى، وقد صدرت في عام (1937). وتدور أحداثها في ألمانيا وكل أبطالها هم ألمان، وغالبا ما تُشبَّه برواية "زينب" لمحمد حسين هيكل" من حيث الرِّيادة، ثم أعقبها برواية أخرى بعنوان "قدر يلهو" (1939)، بطلها طالب سوريّ يعيش في برلين يرتبط بعلاقة حب مع فتاة ألمانيّة باسم "إلسا"، وهي قصة ذات ملامح رومانسيّة أوروبيّة. تتميّز الرّواية بلغتها الكلاسيكيّة المعقّدة وتعتمد كثيرا على المحسّنات البديعيّة والاستعارات.[7] ويذهب البعض إلى اعتبار رواية (الرَّغيف) للكاتب "توفيق يوسف عواد" الَّتي نشرت عام (1939) هي بداية الرِّواية النَّاضجة فنّيًا، ويؤرخ بها نشأة الرّواية في لبنان.

غير أنَّ عددًا من الباحثين يرى أنَّه لم يتمخَّض عن هذه الفترة ما يمكن أن يُطلق عليه الرّواية العربيّة السّوريّة،"فالقصة الحديثة، ولدت مع ولادة المجتمع السّوريّ الحديث. وتأثرت قدر تأثّره بالحضارة الغربيَّة ومثلها الفكريَّة والاجتماعيّة. إنَّها في القالب الفنيّ وفي المحتوى، وفي الدّلالة الاجتماعيّة على السَّواء شيء جديد. ولم يكن بإمكان التُّراث القديم، على ما فيه من روعة وطرافة وأصالة، أن يُرضيَ حاجات البرجوازيَّة الجديدة النَّاميّة أو يتلاءَم معها".[8]

وممّا لا شك فيه أنَّ للأحداث السّياسيّة دورًا فاعلًا في التّأثير على كل مناحي الحياة الفكريَّة، وأنَّ الرِّواية والقصة والأدب عامَّة تتجاوب مع الحدث السيّاسيّ والتّحوّلات الاجتماعيّة، خاصّة إذا كانت هذه الأحداث دراماتيكيّة، كما هو الأمر في سنوات الثَّلاثين من القرن العشرين، وسنوات الانتداب الفرنسي على البلاد السّوريّة لتتبلور فيما بعد مرحلة جديدة حين وثق الرّوائيون أكثر بذاتهم وقدراتهم وتراثهم الغنّي فعادوا إلى الجذور لخلق ما هو جديد يتناسب مع الواقع الحديث بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

وعليه فإنّ المنجز الرّوائيّ السُّوريّ قد عرف جملة من التّحوّلات، وأخذت الرّواية تمشي في مسار آخر غير المسار الكلاسيكيّ الّذي انطلقت منه والّذي تَرمز له تجربة "حنا مينة" الرّوائيّة و"عبد السَّلام العجيلي"، وظلَّت الرُّومانسيّة هي الإطار الغالب على الرّواية، حتّى سيطر التّيار الواقعيّ سيطرة شبه تامة على الرّواية السّورية في الخمسينيات والسّتينيّات من القرن العشرين، والّتي صوّرت ما حدث في سوريّا منذ الانقلاب العسكريّ الّذي قاده حزب البعث سنة (1963م)، أين سقطت البلاد في دوّامة الدّم وتشابكت خيوط

الفاجعة فغرقت سوريّا في أزمة يصعب إيجاد حلٍّ لها على جميع الأصعدة السّياسيّة والاقتصاديّة وأيضا الدّينية... إنّ جوهر المأساة هو وقوع السُّوريّين بين شقيّ رحى الإستبداد السّياسيّ من جهة والإستبداد الدّيني الطّائفي من جهة أخرى، فتحوّلت البلاد إلى مستنقع من الدّم تتصارع على رأسها أنظمة وأحزاب كلّهم يريدون اعتلاء العرش.

ليتعزّز هذا المسار سنوات السّبعينيات، بما شهدته هذه الفترة من اضطرابات وتقلّبات السّياسيّة وبروز الصِّراع المسلّح المرموز له بأحداث حلب وحماة سنة (1982م)، الّذي جسّد الصّراع الإيديولوجي بين الإخوان المسلمين والنّظام السّوري، لكن كل ذلك لا يقاس بالزلزال الذي حدث في مارس/آذار2011.

فقد أفرزت الثّورة السورية عددًا كبيرًا من الأعمال الروائية، وتوجه معظم الرّوائيين السّوريّين مرغمين نحو رواية الفاجعة، فبعض الإحصاءات تشير إلى صدور أكثر من 50 رواية بعد الثّورة، ففي عام (2014م) وحده صدرت 14 راوية كانت بمثابة الانطلاقة الأولى لأدب الثّورة السّورية، وفي عام (2015م) بلغ عدد الرّوايات المنشورة 24 رواية ثم راحت تتوالى الكتابات الّتي حاولت تجسيد الثَّورة والحرب السّوريّة الّتي كانت أشبه بملحمة مأساويّة مفتوحة جرفت معها الأخضر واليابس وأحدثت قدرًا هائلًا من الدَّمار والخراب وهجّرت أعدادًا مهولة من السُّوريّين،[9] نام بعضهم في المخيَّمات ومكث جزء منهم في صفائح التّنك وعصفت أهوال الحرب بعدد غير قليل هرب من العنف واختار اللُّجوء والبقاء في المنفى.

وعلى غرار هذا التَّغير الكبير الَّذي حدث في حياة السّوريّين بعد الثَّورة ثمَّة تغيُّرات كبيرة طرأت أيضًا على عمليَّة الكتابة الإبداعيّة، إذ أضحت الكتابة أكثر ألمًا بشكل جسَّد العنف الأصوليّ والبعثيّ والرّسمي، وعلى الرّغم من كل محاولات الكتّاب لتجسيد آلام الحرب المستعرة الَّتي نشبت بعد الثّورة على يد النّظام السّوريّ وحلفائه، يمكننا القول بأنَّه لا يوجد عمل أدبيّ واحدٌ استطاع أن يكون بحجم المأساة والألم.

لقد ترك العنف الَّذي مسّ التُّراب السّوريّ شرخًا كبيرا وجرحًا عميقًا في نفوس أبناء الوطن، هذا الأمر الَّذي جعل كتابات تلك الفترة تُجلَّل بالسَّواد ويكتسح الدّم فيها مساحة لا بأس بها، "كيف لا والإرهاب قد استخدم العنف كأسلوب للضّغط على الحكومات لتأييد الاتّجاهات المناوئة والمطالبة بالتّغيّيرات الاجتماعيّة الجذريّة".[10]

وعليه فإنَّ الكثير من تلك الرّوايات عبّرت عن هموم الوطن وواقع الإنسان وآلامه، وقد شهدت السّاحة الأدبيّة السّوريّة عددًا معتبرًا من الرّوايات الّتي كانت هموم الوطن موضوعًا أساسًا لها، وشكّلت تلك الهموم مرجعيَّة الخطاب الرّوائيّ، غير أنَّ هذه المرجعيّة

قد اختلف في التّعبير عنها وتنوعت آليّاتها فخضعت الرّواية العربيّة بذلك لمبدإ النّشوء والارتقاء مثلها مثل الكائن الحيّ، حتَّى وصلت إلى مرحلة تنافس فيها الرّواية العالميّة في الكثير من المحافل، وبذلك وصلت هذه الرّواية إلى دنيا النَّص المفتوح الّذي يفضي إلى قراءات متعدّدة لا تصل إلى تفسير نهائيّ لها.

3) **ثنائية الرّيف و المدينة:**

إنّ الرِّواية وليدة العصر الحديث عبّرت عن شواغل يوميّات الإنسان المعقّدة وما كانت ستحظى بحق التّواجد لولا تعقُّد الحياة وتوتّر العلاقات الاجتماعيّة وتفكّك تلك الرّوابط داخل المدينة، وهذا الدُّكتور "محمد حسن عبد الله" يشير في كتابه **"الرّيف في الرّواية العربيّة"** إلى المفارقة الموجودة في عنوان كتابه، والمخالفات والتّحديات _كما يسميها_ الّتي اعترضته وهو يتصدى لموضوعه (الرّيف) في (الرِّواية العربيّة) ذلك أنّ "الفنّ الرّوائيّ ابتدع ليعبّر عن المدينة وليس عن الرِّيف أو القرية، وارتبط ازدهاره بنشأة المدن الكبيرة وانتشار التّعليم، لأنّ الرّواية فنٌّ يُقرأ كما ارتبط بحصول المرأة على قدر من الحريَّة الاجتماعيّة".[11]

إنّ أهم شواغل الرِّواية الحديثة الَّتي من أجلها اعتبرت ديوان العرب وجامع أخبارهم أنَّها استطاعت كفن أدبيّ أن تصوّر إشكالات الإنسان وتستوعب حياته وقلقه وحيرته وألمه الوجوديّ، هذا الخلخل الَّذي أصاب قيمه وعلاقاته الاجتماعيّة من مميزات المدينة الحديثة.. وهذه الأخيرة جعلت منها ماركة مسجلّة وعالماً مفتوحاً على احتمالات شتَّى، وجعلت من حركيّة السّرد في الرِّواية متعدّدة ومتداخلة المسارات، عبر تشعب وتشابك وحيوية العلاقات الاجتماعيّة وتقاطع أحداثها وتساوقها.

ويضرب الدّكتور محمد حسن عبدالله رواية (مدن الملح) "لعبد الرّحمن منيف" مثالا عن ذلك، فيرى أن تشكّل الرّواية مقترن بنمو مدن الملح، لأنّ الصّحراء تفرض نمطاً حكائياً يقترب من الأسطورة والقصص الشّعبي، فالصّحراء هي حاضنة الأشكال السّردية السّابقة للرّواية. ومع اكتشاف النّفط ونصب الآلات العملاقة وتشييد البيوت، وتبليط الشّوارع ودخول وسائط النّقل الميكانيكيّة، واتّساع حركة السّوق، وإقامة المؤسّسات.. كانت العلاقات بين الأفراد من جهة وبين الأفراد والمدينة النّاهضة من جهة أخرى تأخذ بالتّداخل والتّشابك والتّعقيد، وفي موازاتها يتحرّر السّرد من الأشكال القديمة ليتلبس شكل رواية.[12]

إنّ هذه النّظرة لم تمنع أنْ تنشأ الرّوايات الأولى خاصَّة في مرحلتها الرُّومانسيّة فتصوّر الرِّيف ومظاهر الطبيعة لتنسج حالة من الوفاق بين الحدث السّرديّ والبيئة الرّيفيّة، أو

تحدث توليفة بين الطبيعة والبنية الرّوائيّة الأولى. فالرّواية الرّومانسيّة رفعت شعار: العيش على وفاق مع الطبيعة، "إنّ الرّواية الفنيّة لم تحقّق صلابتها كشكل أدبيّ نثريّ، له أصوله الجماليّة المستقلة، أو المميّزة له، إلّا في عصر الواقعيّة واقتحام قضايا مجتمع المدينة المعقّد، بصراعاته وطبقاته وتطلّعاته".[13]

إنّ الرّيف والمدينة كلمتان متقابلتان بينهما تضادٌ يصل في أحايين كثيرة إلى حدّ الصّراع في الأعمال الرّوائيّة، فالمدينة تنظر إلى الرّيف على أنّه متخلّف وأنّ فتح أبواب المدينة أمامه يحطُّ من قدرها وينقص من رفاهية العيش فيها، أمّا الرّيف والقرية فإنّها تنظر إلى المدينة على أنّها مقرٌّ للسّلطة المرادفة للظّلم والتّحكم ومسكن الحاكم الّذي يمارس سلطة الدّولة أو تسلّطها.

4) ثيمة المدينة في ثنائيّة خالد خليفة:

إنّ القراءة المعمَّقة لثنائيّة الرّوائيّ السُّوريّ"خالد خليفة" تكشف لنا الدَّور التَّوثيقيّ الَّذي تلعبه الرّواية في التّوثيق لسرديّة العمران وبنائيّة الأمكنة الرّوائية. فالتَّسجيل الزّماني والمكاني حوَّل الرّواية أحيانا إلى فن فوتوغرافيّ، ولكن بصورة تتجنّب الجمود، وأحيانًا حياديَّة الصّورة الفوتوغرافية، والمطَّلع على مدوّنتي الدّراسة يجد أن "خالد خليفة" قد صوَّر "مدينة حلب" بشكل مغاير للمألوف ومرادف للخلق والإبداع، لأنّ مدينة حلب العمرانيّة تحضر لا بعَمَارتها وبنيانها بل إنّ حضورها مختلف باعتبارها فاعلا في الحدث السّردي وموجّها له، لأنها كيان يؤاخي كينونات النّاس أو يمْكُر بها في الحدث السّرديّ نفسه حتّى صارت مدينة حلب ترتبط به.

والمدينة في رواية الفاجعة السُّورية نوعان: واحدةٌ واقعية تستدعيها الرّواية من الواقع إلى اللّغة، وأخرى متخيّلة تصنعها الرّواية باللّغة وتُنزِلُها إلى الواقع. فالمدينة العموميَّة هي التي «قَصَدَ أهلُها الاقتصارَ على الضروريّ مما به قَوَامُ الأبدان»، فسِمتُها العامةُ هي التّقشف الهندسيّ، والضيقُ، والتّلاصقُ المُسبب لكل حالات التّوتر والعنف الإنسانيّين. وهي مدينة لا تنظر إلى الأعلى، ولا تحلم بحاراتها وشوارعها وناسها إلا أفقيًّا، بل إن أحلامَها تزدحم دومًا بالكوابيس، وتسكنها فئةٌ من النَّاس أخلاقيةٌ مُهمشةٌ وآتيةٌ من الدّواخل، هم في الغالب عُمالُ الحضائر، والباعةُ الجائلون، والطلبةُ، والموظفون الصغارُ، ورجالُ التَّعليم، والمطلقاتُ، والمُتدينون الجددُ، وأعوانُ الأمن الّذين ليستْ لهم واسطة للعمل في الأحياء الرَّاقيّة، «فيكون هؤلاء هم الّذين يخدِمون ولا يُخْدَمون، ويكونون في أدنى المراتب، ويكونون هم الأسفلين» على حد وصف الفارابي لهم. ولا نكاد نعثر في رواية الفاجعة السّورية إلا على مدينة صارت حاضنة لتفريخ كل شروط الحزن، القلق، والضغينة والمكر

والخديعة والإرهاب وإفراغ البشر من ذواتهم، ومَحْوِهم إلى الحدّ الّذي صاروا فيه مفاعيلَ تتظاهر بأنها فاعلةٌ على حد عبارة "جاك لاكان".[14] وكانت صورة المدينة على النّحو الآتي:

أ- حلب المدينة المُعَاقَبَةُ:

مدينة حلب هي المدينة القديمة الضَّاربة جذورها في التَّاريخ، مدينة شامخة لآلاف السّنين، حالها كحال معظم المدن السّوريّة، همّشتها الإيديولوجيا القائمة آنذاك ومرّت عبر تاريخها، هدّمتها الإثنيّة العرقيّة الضّيقة، لذا عمل "خالد خليفة" في روايته "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" على تصوير بوادر وبذور ترييف المدينة الّذي تمّ بشكل ممنهج ومدروسٌ عقابها من قبل سلطة الإنقلاب سنة (1963م)، إنّها المدينة الّتي عوقبت خلال الثّمانينيات وعوقبت قبل ذلك ومازالت تُعَاقَبُ إلى يومنا هذا فهناك مدن كثيرة عُوقِبت على مرّ الرّوايات؛ دمشق عُوقِبت وحماة أيضا عُوقِبَت ولكنّ حلب كان العِقاب فجًّا قاسيًا جدًّا، حلب جُرّدت من سكاكينها وجرّدت حتّى من إنسانيّتها،

فينطلق الرّوائي نحو الماضي تارة وباتجاه المستقبل تارة أخرى، يصوّر كيف أسهم ذلك الانقلاب في تشويه معالم مدينة حلب ونسف بُناها الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والثّقافيَّة، وخلّف شروخًا عميقة بين النّاس الّذين انقسموا بين مؤيّد خائف من إرهاب سُلطة الإنقلاب، وآخر معارض أُودِي به بالتَّقادم وتمّت تصفيته وضرب مجاله الحيويّ أيضاً، في مسعى لنسف أيّ نشاط أو إحياء لاحق محتمَل.

حلب الّتي حاول "خالد خليفة" أن يرسمها بيبلوغرافياً لتكون نموذجًا يوحّد الفكرة البؤريّة فحلب بؤرة الرّواية والمركز الَّذي يعود إليه الجميع بعد أن يُهزموا خارجه؛ رشيد، الأخ الأوسط، سيعود بدوره إليها، بعد ذهابه إلى العراق للجهاد ضد الغزو الأمريكي هناك، والخال "نزار" المثلي الجنس، والموسيقي العبقري، الّذي تتقاطع حيوات أفراد هذه العائلة مع حياته، يشاركهم همومهم كأمّ حنون بعد عودته هو الآخر إلى حلب. يقول الرّاوي: «**الموت يتمدّد ثقيلا فوق شوارع حلب الموحشة إلى درجة لا تطاق...**».[15]

ومثلما كانت حلب مركز الرّواية كمكان لأحداثها، فإن لحظة موت الأم، تشكل أيضاً مركزها الزّمني. من لحظة الموت تبدأ جميع فصول رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة"، لتمضي في بنية شبكيّة إلى نهايات الأحداث، ثم تعود في بداية الفصل التّالي إلى النّقطة الأولى، لتعاود مضيّها من جديد إلى الأطراف حتّى نمر على جميع الخيوط والعقد الكثيرة. هذه الطّريقة في السّرد، من أهم ما يميّز هذه الرّواية الغنيّة والّتي تتضمّن الكثير من الأحداث المثيرة.

كما صوّر عوالم سرديّة لم تفلح في إعطاء إشراقة روائيّة في ظلّ الزّخم الرّوائي الكثيف والسّوداويّة الّتي طبعتها، ووسط زحمة جنائزيَّة فجائعيَّة وأيديولوجيا سيطرت على الأحداث طولا وعرضًا. صوّرها وهي تفقد هويتها مدينة تغرّب عن ماضيها المجيد وتجرّد من عراقتها وأصالتها وإرثها الحضاريّ، كلّ شيء في هذه المدينة يوحي بالعراقة سعوا جاهدين لتحطيمه، حتَّى البيوت والجدران والأرصفة لم تسلم من الهدم، بنوع من التّزاوج القسريّ الّذي أنتج المدينة المزيَّفة استبدل كل ماضيها بالمدينة المسخ، يقول الرّاوي: «**جابر عاد حاملا شهادة دكتوراه في تخطيط المدن الَّذي يعني له هدم كلّ الأمكنة الرَّائعة الَّتي تعشعش في ذاكرة المدينة، في جدرانها القديمة، والشّراكة مع تجّار بناء لم يتركوا بناءً واحدًا في حيّ الجميلية الرائع والمنشيّة القديمة إلّا خربوا رموزه، يستخرجون ببساطة رخصا للهدم وطرد السّكان بشتّى الوسائل من منازلهم الرّحبة الدّافئة، وارتجال أبنية رخيصة، غرفها تشبه أبنية الفئران...**».[16]

وحلب أيضا هي تلك المدينة الّتي فقدت بريقها وعبق تاريخها في مسار الأحداث نحو الغد أو مسارها المعكوس نحو الماضي، إنَّها المدينة الّتي تلتهم شخصيَّاتها فتتهاوى على مسرح النّسيان وتعيد تشكيلهم وتصديرهم حين يفقدون ملامح المدنية فيهم. يقول الرّاوي: «**غادر المقهى وعاد إلى مدخل البناية القريبة، تمدّد على بلاطها القذر، ... تراجع عن تفكيره واستسلم إلى البحث عن صورته الأخيرة. عادت إليه صورة سوسن وصورة أمّي ونزار، شوارع حلب وغرفتنا، ووجوه رفاقه المجاهدين الَّذين قتل أغلبهم وذاب من تبقى منهم كملح في شوارع المدينة**».[17]

هي مدينة تعكس عمق الفجيعة الّتي تحياها الشّخوص، فالجدّ يقضي في محطة القطار الَّتي يحلم بتحديثها ويبالغ في تشبّثه بحلمه بها، وهو الّذي يحمل وسام التَّميّز عن عمله السّابق فيها يقول: «**...مزال يستيقظ صباحًا، يرتدي بذلته المخطّطة ويخرج إلى محطّة القطار، يجلس على الرّصيف منتظرا أصدقاء قدامى لم يعودوا موجودين، منبّها عمّال المحطة إلى مخالفاتهم، مذكّرا إيَّاهم بالوسام المعلَّق على صدره ضاق جميع العمّال بملاحظاته، ولم يحزنوا حين سقط تحت عجلات قطار بضائع بطيء ومات**».[18]

مدينة أخرى تتعرّض للعِقاب والتّرييفِ هي مدينة بغداد بأصالتها وعمقها التّاريخي والحضاريّ يقول الرّاوي: «**ضحك الخادم وأشار إلى ضفاف نهر دجلة، المقاتلون اليمنيّون قاموا باستئجار سيّارة وتركوا رشيد وحيدا في شوارع بغداد الفارغة، بدلته العسكريَّة تشي بانتمائه، ذقنه الطَّويلة تدلّ على هويّته بشكل لا لبس فيه..**»[19]

بعدما كانت المدينة رمزًا للحضارة والرَّتابة في الرّواية العربيّة كما كانت صورة القاهرة عند "نجيب محفوظ" و صورة بغداد الخمسينيات ونحن نقرأ رواية "الرَّجع البعيد" "لفؤاد التّكرلي" أو مدينة قسنطينة في أعمال "أحلام مستغانمي"، يحاول الرّوائي جهده أن يضع القارئ في صورة من العتمة والتّرييف الّذي شهدته المدينة العربيَّة فلا يتفاجأ من العنف في الواقع السّوريّ ومن الحقد على المدن وعلى تاريخها، لأنّ ما كان متكتّما عليه لم يكن بأقل فظاعة مما يظهر للعلن.

إنّ حلب صارت لا تختلف صورتها كثيرا عن باقي الأرياف التي صوّرها الرَّوائي، فالقرية مجهولة الدّور مع أنّها مصدر البذل أبناؤها هم جنود الجيش هم الشّهداء الّذين يسقطون في أرض المعركة، ومتعلّموها هم سكان المدن الّذين نزحوا منها وتنكَّروا لها. إلّا أن صوّرتها دائما قميئة مهزولة مستنفرة سّلبيّة يقول الرّاوي واصفًا سوسن أحد شخوص روايته بعدما عيّنت مدرسة في إحدى القرى : «**لفحها هواء كانون الأوّل البارد، خرجت من الجامع، تساءلت ماذا تعني أنّها لم تنه جامعتها بعد وأنّها تعمل معلمة وكيلة في مدرسة قرية بيانون، تتلوّث ثيابها في الطّين شتاءً والغبار صيفا، تسافر في باصات مكتظة بريفيين يدعسون على قدمها دون الالتفات إليها والاعتذار عن خشونتهم**»[20]

فالمدينة بوصفها مكانًا للإستقرار أو العبور، تستدعي نوعًا من العلاقة مع فضاءاتها حسب إحدى الرّغبتين، إلا أن البحث عن الألفة الّتي تضمن الرّاحة والأمن هو القاسم المشترك بين هذين الوضعين أي الاستقرار أو العبور.

و ينتج عن وجود الألفة شعور بالغبطة (L'euphorie) و غيابها يؤدي إلى الشّعور بالضّجر [21] (La dysphorie)وتسمى هذه العملية، أي إقامة علاقة أليفة مع الفضاء، بالتعشيش La nidification حيث يتحول ذلك إلى فضاء للأمومة يشمل جوانب وجدانيّة ورمزيّة.[22]

ب- المدينة الكَابُوس:

تتحوّل المدينة إلى كابوسٍ غابت عنه الشَّخصيّات وبقيت موحشة جعلت من المجال الَّذي يتحرك فيه الرَّاوي خانقًا ضاغطا عليه، لا رادَّ له ولا إرادة تحفّزه للمضي قدمًا. بمراوحة أساسيَّة بين مرحلة التَّعيين وعدم التَّعيين بين الإبهام والوضوح تتحوَّل المدينة عند بطل "مديح الكراهيَّة" إلى كابوس «**حتَّى غدت حلب مدينة النَّحيب والجنازات المختصرة والرّثاءات الصَّامتة، في عيون الأمهات حزن عميق، القتلة على بعد أمتار منهنّ يتبخترون في ثيابهم العسكريَّة ويتباهون**».[23]

بطريقة مباشرة يتَّهم الرّوائي من كان السَّبب في تحويل مدينة بعراقة حلب إلى مدينة للحزن والنَّحيب والجنازات، إنّ حلب مدينة الكابوس مدينة الحزن الجاثم على كاهل الأمهات اللَّواتي فقدن فلذات أكبادهنّ أو بعولتهن.

يقول الرَّاوي عن سوسن إحدى شخصيات رواية "لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة" بعد لقائها بأحد قيادي الحزب الرَّفيق جابر: «**سارت في الشَّوارع لوقت طويل، بحثت عن مدينتها في مدينتها الَّتي خافت أن تخنقها روحها ذات يوم، تخيَّلت نفسها واقفة في صفّ طويل مع رفاقها وروح المدينة تسألهم عمّا فعلوا**».[24]

صوَّر الرَّاوي خوف سوسن من مدينة حلب الَّتي حاولت أن تخنقها بكثرة الأسئلة، إنّها المدينة الكابوس الَّتي تفنن الحزب الحاكم والموالون له من التّجار وأصحاب المال في تخريبها غير أنّ للمدينة قوَّة خفيّة تحميها وللمدينة (الكابوس) روح تطارد مخرّبيها،«**إنّ روح المدن العظيمة تطارد مخرّبيها إلى قبورهم...**».[25]

يقول الرّاوي مصورا حلب وكأنّها المدينة الكابوس المخيف: «**سألت نفسها ماذا تغيّر كي يشبه هؤلاء المّارة الأرانب الخائفة، يسيرون في طريقهم منكّسي الرؤوس، بدت لها حلب في تلك اللحظة مدينة فقدت بريقها ومثقلة بالنّدم، لا تعني لها أي شيء، امرأة عجوز تتفقد أحوال رفيقاتها، تخاف الموت المبكر...**»[26]

يذهب الرّاوي أبعد من ذلك ليصوّر المدينة في صورتها العجائبية والمخيفة في آن واحد، مدينة حلب عكس المدينة الفاضلة إنّها المدينة الفاسدة أو ديستوبيا، بل هي المجتمع الذي تسوده الفوضى، عالم وهمي ليس للخير فيه مكان يحكمه الشر المطلق، ومن أبرز ملامحه الخراب، والقتل والقمع والفقر والمرض، باختصار هو عالم يتجرد فيه الإنسان من إنسانيته يتحوّل فيه المجتمع إلىٰ مجموعة من المسوخ تناحر بعضها بعضاً.

ت- المدينة السجن:

في رواية "مديح الكراهيّة" لم تكن مدينة حلب وحدها معنية بالعقاب والسّجن بل صور الرّوائي مُدنًا أخرى عُوقبت مثلما عُوقبت حلب ومن هذه المدن أفغانستان ومدنها كابول وبيشاور وإسلام آباد...

تعرّضت هذه المدن أيضا للإستلاب والإغتراب والانتهاك جردوها من مدلولاتها المرجعيّة المحتملة لتصبح شارات على زنزانة كبرى أو خراب ودمار تتحوّل إليها المدينة يقول الرّاوي: «**كانت أفغانستان منسيّة حتى دخلها السّوفييت فذكّروا العالم بها من جديد، الأفغان الّذين لا يريدون من هذه الدّنيا سوى الطّعام لأطفالهم وجدوا أنفسهم في ورطة، أصبحوا مرتزقة الفصائل الّتي تتنازعها رغبات السّيطرة على مزارع الحشيش**».[27]

يصوّر خالد خليفة مدن أفغانستان بصورة مأساويَّة معنّفة يصفها وكأنَّها مدينة خاوية على عروشها، يطلب أهلها أبسط ضرورات الحياة من مأكل ومشرب لأطفالهم، وهذا عبد الله أمير من رجال التَّنظيم مهمّته الدَّعم اللُّوجيستي للمجاهدين في أفغانستان يقول: **«فكّرت بعبد الله والغبار يغطيه في دروب أفغانستان حاملا المؤن على بغال جرباء وحمير متمهّلة في الجبال الوعرة».**[28]

إنّ الحلم في مدينة فاضلة كما يراها الفلاسفة والمفكرون بات أمرا مستحيلا حدوثه في الواقع، لأنّ كل مجتمع له رؤيته وتصوره لهذه المدينة الفاضلة فالمجتمعات الإسلامية تحلم بإقامة المدينة الإسلاميّة الفاضلة مدينة أسّسها النبيّ _صلى الله عليه وسلم_ قامت على أسس متينة قوامها العدل والمساواة، حشد لها المسلمون أنفسهم للجهاد وجمعوا لها التبرعات من كل أقطاب العالم الإسلامي هذا الحلم الّذي راود المسلمين ذات زمن صوّره خالد خليفة في "مديح الكراهية" يقول: **«كلّ شيء في بيشاور يوحي بأنها مكان مثالي لإنزال أحمال تبرعات مسلمين اعتبروا قضية الأفغان قضيتهم».**[29]

إنّ هذه الأزمة الَّتي عصفت بمدن أفغانستان بسبب الحلم في إقامة الخلافة الإسلاميَّة، مزّقت الدّين وذهبت بأصحابه مذاهب شتَّى فاختلطت على إثرها المفاهيم، وتباينت فيها الرؤى، ليظلّ الإسلام هو الضَّحيَّة الأولى في مسلسل العنف تحوّلت على إثره مدن إسلاميَّة إلى فضاء مغلق مرعب مثير للهزيمة.

ث- المدينة المُتَسَلِّطَةُ:

تتحدّد مظاهر التّسلطِ الّذي يمارس عُنوة على الشّخصيَّات في كنف فضائها المَدينيّ، في شكل ضوابطَ معياريّة تتحكّم في خصوصيّات هذه الأخيرة سواءً أ كانت الاجتماعيّة منها أو الثَّقافيَّة أو الفكريَّة أو حتَّى النَّفسيَّة... لذلك تسعى الشَّخصيَّات للحفاظ على هويتها وخصوصيتّها ومكانتها الاجتماعيَّة والإنسانيّة -قبل كل شيء- لا الاستسلام والاستجابة لكلّ ما تمليه مختلف الضَّوابط والقوانين الَّتي يسنّها الفضاء المتسلّط، وهنا تكمن خصوصيَّة الرَّواية الجديدة ومنها .... في قدرتها من خلال "كنائيَّة المدينة الرّوائيَّة على هتك الدّكتاتوريّة والحرب، وعلى تعرية الذَّات والآخر.[30]

«يشرح بإسهاب نظريّته حول العار التَّاريخيّ، يُعيد رسم سكّان مدينة واحدة يتقاسمون هواء مدينة واحدة خائفين بعضهم من بعض، المسيحيّون خائفون من المسلمين، الأقليّات خائفة من الأكثريَّة، والأكثريَّة خائفة من بطش الأقليَّة، قوميَّات وأديان وطوائف خائفون من الرَّئيس وضباط مخابراته، والرَّئيس خائف من أعوانه

وحرّاسه، وأعوانه يبحثون عن طرق مبتكرة للوشاية بعضهم ببعض، وتقديم ولائهم يبحثون عن طرق مبتكرة للوشاية بعضهم ببعض وتقديم ولائهم اللاَّمتناهي، ينكلون بأعدائه ويشون بعضهم ببعض أيضا»[31]

مع أنّه من المفروض أن تكون المدينة في خدمة النَّاس وعلى مستواهم توجد، لتناسب أعرافهم وأذواقهم ومشاربهم لتساعدهم على العيش ولتطمئنهم وتحميهم من العالم المناوئ ومن أنفسهم، لكن اتضح أنّ "كلّ مدينة تمارس ثقافة خاصة بها".[32] ومدينة حلب كذلك تمارس سلطتها على الجميع تفرض ضوابطها الَّتي امتازت بها على كل من يزورها أو يقترب منها، فلا السّكان استأمنوا العيش فيها بسلام لأنّها مدينة تحكم فيها الإثنيّة العرقيّة المسيحيون أقليَّة يخافون الأكثريّة المسلمة والمسلمون فيهم طوائف يتسلّط بعضهم على بعض، والرَّئيس يخاف من ساكني المدينة والسّكان يخشون تسلّط الرّئيس كل في فلك يهيمون.

خاتمة:

بعد هذه الدّراسة المختصرة الَّتي حاولت فيها الكشف عن ثيمة المدينة في رواية الفاجعة السّوريّة، ضمن ثنائية الرّوائي السّوريّ خالد خليفة، ويبدو أنّ فضاء المدينة بسرديَّة عمرانها أساسه الحكي عن الألم والحزن، وبنائيّة المدينة أساسها الموت والإرهاب، ومن أهم النَّتائج الَّتي توصلتُ إليها:

- إنّ المدينة بانوراما لجوانب من الصّراع الَّذي احتضنته المدن العربيَّة مكرهة، وحلب نموذج عن هذه المدن إنّها مسرح لممارسة العنف والإرهاب وفضاء يجسّد الموت والإنهيار، مدينة منفصلة عن الإنسان كلّ شيء فيها يولد الإحساس بالعدميَّة والعبث.
- إنّ الإنسان هو المستهدف من وراء الحروب والثَّورات وكذلك المدن هي الأخرى عرضة للدَّمار والخراب، خاصَّة وأنَّ هناك من ينظر للمدينة لا كفضاء بل كروح وجسد يعبق تاريخًا وفكرا وإيديولوجيا مناقضة، وبالتالي وجب محوها.
- مدينة حلب في ثنائيَّة خالد خليفة هي فضاء سرديّ معادل لضياع كرامة الإنسان وغياب كل المفاهيم الإنسانيّة ومصادرة كل الحقوق الإنسانيّة، هي مدينة عُوقبت لعشرات السّنين ليس لشيء إلاَّ لأنّ من يسكنها ينتمي إلى طائفة غير الطائفة الحاكمة في سوريَّة.

- لم يصوّر الرّوائيّ العربيّ المدينة باعتبارها فضاءً سرديًا، يبرز من خلاله قيمة المدينة وأهمّيتها في حياته وحياة مجتمعه، بل تعدَّى ذلك إلى التَّعبير عن فلسفته في الحياة، ورؤيته الخاصَّة للمكان وبذلك صارت المدينة ذات بعد فكريّ وفلسفيّ.
- عمدت الرّواية إلى جعل المدينة بمثابة فضاء رئيس فاعل ومندمج مع المكوّنات السّرديّة الأخرى، بل إنّ المدينة بؤرة لتوليد الأحداث و إثرائها عن طريق التَّحوّلات السّريعة الَّتي تشهدها المدينة.

وعليه أقترح أن يسلَّط الضَّوء على ثيمة العنف في الرّواية العربيّة وأخصّ بالذّكر رواية الفاجعة (الأزمة)، وعلى الدّارسين الكشف عن الذَّات المفقودة في الرّواية العربيّة الحديثة خاصة الرواية الّتي صوّرت جوانب الصّراعات السّياسيّة الإيديولوجيّة.

الحواشي:

[1] بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، دط، 1987، ص859.

[2] عبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة (الاجتماع الحضري)، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط7، 1981، ص27.

[3] باديس فوغالي،الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2008، ص175.

[4] بهيجة مصري إدلبي، عامر الديك، السيرة الذّاتية في الخطاب الرّوائي العربي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط، 2011، ص105.

[5] محمد عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري (مدخل نظري)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، ص129.

[6] رزاق إبراهيم حسن، المدينة في القصة العراقية القصيرة، دائرة الشؤوون الثقافية، بغداد، ط1، 1984، ص24.

[7] ينظر، حسام الخطيب، روايات تحت المجهر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1983، ص13.

[8] محسن جاسم الموسوي، الرواية العربية، النشأة والتحول، دار الآداب، بيروت، 1988، ص23.

[9] أسماء رمضان، أدب المأساة: كيف جسدت الرواية السورية أهوال الحرب، مدوّنة نون بوست، https://www.noonpost.com/content/27185، تاريخ الزيارة: 2012/6/14م، الساعة: 22:45.

[10] إحسان محمد الحسن، علم اجتماع العنف والإرهاب دراسة تحليلية في الإرهاب والعنف السياسي والاجتماعي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008، ص:25.

[11] محمد حسن عبدالله، الريف في الرواية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص7.

[12] ينظر، المرجع نفسه، ص8.

[13] المرجع نفسه، ص7.

[14] عبدالدائم السلامي، الرواية العربية والمدينة، تشابك العلاقات والأمكنة، مجلة القدس العربي، تاريخ النشر:2019/10/29، تاريخ الاطلاع 2020/10/3، رابط المقال https://www.alquds.co.uk/

[15] خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط2، 2016، ص9.

[16] لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص144.

[17] لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص213.

[18] لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص33.

[19] لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص212.

[20] لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص146.

[21] Voir Greninas : Sémiotique et sciences sociales. Paris, Seuil, 1976.- p.p.129-159.

[22] Voir Nicolas Gustave Fischer : La psychologie de l'espace. Paris, PUF (Que-sais-je), 1981.- p. 9

[23] خالد خليفة، مديح الكراهية، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط4، 2015، ص183.

[24] لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص145.

[25] لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص144.

[26] لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص66.

[27] مديح الكراهية، ص186.

[28] مديح الكراهية، ص294.

[29] مديح الكراهية، ص295.

[30] نبيل سليمان، أسرار التخييل الروائي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005، ص46.

[31] لاسكاكين في مطابخ هذه المدينة، ص158.

[32] ينظر، تأليف جماعي، الإنسان والمدينة في العالم المعاصر، تعريب: كمال خوري، مركز دراسات المدينة المعاصرة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977، ص5.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إحسان محمد الحسن، علم اجتماع العنف والإرهاب دراسة تحليلية في الإرهاب والعنف السياسي والاجتماعي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.
2. باديس فوغالي،الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2008.
3. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، دط، 1987.
4. بهيجة مصري إدلبي، عامر الديك، السيرة الذّاتية في الخطاب الرّوائي العربي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط، 2011.
5. حسام الخطيب، روايات تحت المجهر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1983.
6. خالد خليفة، لا سكاكين في مطابخ هذه المدينة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط2، 2016.
7. خالد خليفة، مديح الكراهية، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط4، 2015.
8. رزاق إبراهيم حسن، المدينة في القصة العراقية القصيرة، دائرة الشؤوون الثقافية، بغداد، ط1، 1984.
9. عبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة (الاجتماع الحضري)، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط7، 1981.
10. محسن جاسم الموسوي، الرواية العربية، النشأة والتحول، دار الآداب، بيروت، 1988.
11. محمد حسن عبدالله، الريف في الرواية العربية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989.
12. محمد عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري (مدخل نظري)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط.
13. نبيل سليمان، أسرار التخييل الروائي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005.
14. تأليف جماعي، الإنسان والمدينة في العالم المعاصر، تعريب: كمال خوري، مركز دراسات المدينة المعاصرة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977.

الكتب الأجنبية:

15. Greninas : Sémiotique et sciences sociales. Paris, Seuil, 1976.
16. Nicolas Gustave Fischer : La psychologie de l’espace. Paris, PUF (Que-sais-je), 1981.

المجلات الالكترونية:

17. أسماء رمضان، أدب المأساة: كيف جسدت الرواية السورية أهوال الحرب، مدوّنة نون بوست، https://www.noonpost.com/content/27185، تاريخ الزيارة: 2012/6/14م، الساعة: 22:45.
18. عبدالدائم السلامي، الرواية العربية والمدينة، تشابك العلاقات والأمكنة، مجلة القدس العربي، تاريخ النشر:2019/10/29، تاريخ الاطلاع 2020/10/3، رابط المقال/https://www.alquds.co.uk